فرقة المسرح الحرّ:
نهضة مسرحية شابة مجددة في ليبيا
"نحن الملك":
مسرحية ذات ابعاد فكرية واضحة

قاسم حول / طرابلس الغرب - ليبيا

الحركة الثقافية في الوطن العربي تسير ضمن خطين . الخط الاول يمثل ظاهرة الفكر البورجوازي ، والذي تتحرك ضمنه تيارات اليمين ، واللاالتزام ، ونشاطات الترف المجرد . والخط الثاني ، يمثل ظاهرة التجديد ، ورفض الصيغ التقليدية والالتزام بطموح الانسان العربي الذي يواجه تحديات على عدة أصعدة ، ومنها التحديات الثقافية التي تستهدف تاويث الواقع الاجتماعي عبر كل مجالات الحياة الثقافية ... سينما ، ادب ، موسيقى ، مسرح .. الخ.

والحركة المسرحية العربية التي تعاني من تراكمات الردة ، وتراكمات الفكر البورجوازي ، تمخضت منذ فترة ليست بالقصيرة عن محاولات اخذت تتبلور بمرور الوقت ، واعطت عبر مسيرتها أعمالا تعبر عن امكانات خروج المسرح العربي من ازمته البورجوازية مضمونا وشكلا .

في العراق برزت ظاهرة مسرح اليوم ، رغم كل الصعوبات التي احاطت بها ، وحاولت محاصرتها كي لا تعطي ما ترنو اليه من عطاء يستطيع ان يلعب دوره الثقافي والسياسي والاجتماعي ، ومسرح اليوم ، اذا ما تمكن من تحقيق طموحه واهدافه ، فانه سيكون الصورة الاكثر اشراقا في مسار الحركة المسرحية الثقافية العربية ، وفي حالة عدم تمكنه فانه استطاع من وضع الاسس الصحيحة لحركة مسرحية طليعية سياتي من يتمكن ضمن ظروف اخرى من مواصلة توجهه الناهي . اذا ، فان ظاهرة التجديد المسندة الى ظاهرة الرفض ، هي حقيقة موضوعية قائمة ، ليس من السهل، بل من الصعب، الوقوف في تيارها المتفجر . وبالتاكيد ، فان ملامح اخرى لمثل هذا المسرح (مسرح اليوم) ، تعمل وتنمو مع الايام ، حتى تصبح هي القاعدة، والمسرح البورجوازي هو الاستثناء يتلاشى مع الوقت .

في ليبيا ، ثمة ظاهرة ثانية في الوطن ، هي « فرقة المسرح الحر » يعمل ضمنها مجموعة من الشباب الذين يعانون من تراكمات الاعتياد على جملة من القيم الفنية والفكرية المتوارثة عبر اشرطة سينمائية خلقت مفاهيم درامية عند الجمهور ، صار المسرح يحاكيها ، وتحاول فرقة المسرح الحر ان تلغيها لتثبت قيما جديدة صحيحة لمسرح يتحدث مع العقل ، لا مع الغرائز . مسرح هادف واضح صريح .

فهل توصلت فرقة المسرح الحر الى هذا العطاء ؟ نعني ، هل استطاعت ان تشكل ظاهرة اجتماعية؟ من خلال محاورتنا لاعضاء الفرقة ، ومن خلال مشاهدتنا لمسرحيتهم « نحن الملك » ، لمسنا ان هذا التجمع ، يسير في الخط الصحيح ، ولكنه حتى الان لم يضع سوى الخطوات الاولى ، لان ثمة طريق طويلة حتى يحقق هذا التجمع طليعيته ، ويتحول الى ظاهرة اجتماعية .

ان ثمة مخاوف فنية لا تزال تحاصر هذا التجمع، يحتاج الى شجاعة اكثر لتحطيم جدرانها ، ويوطد علاقته بالجمهور اكثر فاكثر عبر اساليب غير محدودة ، لانه سيبقى في حدود التجريب ان هو اقتصر على العروض السنوية ليلتقي بكذا مائة من المتفرجين ، حتى ليبدو ان الظاهرة هذه لا تعدو كونها ترف لاعضاء الفرقة ، وهم لا يريدون لانفسهم مثل هذه الحالة بالتاكيد . ان العلاقة مع الجمهور لا تتوطد من خلال هذه العروض المتباعدة التي تحاول طرح اشكال جديدة لم يالفها الجمهور من قبل .

في مسرحية « نحن الملك » التي سنأتي للتحدث عنها انتبهت الى تعليق اثنين من المشاهدين في ليلة العرض الاول . في مشهد من المسرحية يمسك الملك بجهاز تلفون (غير موجود) ، ويدير قرص التلفون (وهما) . فقال المشاهد لصديقه (واين التلفون ؟) فاجابه صاحبه (يبدو انهم لم يتمكنوا من توفيره) !!

وفي مشهد اخر تاتي احدى الممثلات (خلال حفلة في بيت الملك) بقنينة ويسكي فارغة ، فسال الشاب صديقه مندهشا (من اين حصلوا على قنينة الويسكي هذه ؟!)

في التعليق الاول ، اعتاد صديقنا على مشاهدة المسرح بكافة تفاصيل الحياة ، وعندما ارادت الفرقة ان توضح له ، بان جهاز التلفون لا ضرورة له لاننا نريد ان نوصل لك ايها المشاهد العزيز مضمون المكالمة ، ولا داعي لملء المسرح بالتفاصيل التي تعرف انت نفسك انها ادوات موضوعة للتمثيل وليس للاتصال الحقيقي ، اذ ليس على الطرف الاخر من يرد المكالمة التلفونية ، واننا نسعى لتحطيم جدار الوهم ، ونشعرك انك في مسرح ، اتيت الينا لسماع وجهات نظرنا السياسية والاجتماعية، واننا نسعى للتعامل معك على اساس حضورك الواعي ، وليس ككائن مسلوب الارادة الى جملة من الاشياء المبهرة التي تقربك الى الواقع .. عندما حصل هذا ، شعر المشاهد ان ثمة خلل في المسرحية ؟!

في التعليق الثاني ، يعرف المشاهد ان الخمر غير مسموح به في ليبيا ، لكنه عندما شاهد الزجاجة الفارغة ، شعر بان الخمرة موجودة في البلد والا كيف تمكنت الفرقة من الحصول على الزجاجة الفارغة ، لا بد وانها كانت ممتلئة ، وافرغوها في احشائهم باردة مخدرة !؟

اذن فان فرقة المسرح الحر ، كتجمع طليعي مجدد، يواجه جمهورا ذي عدة رؤى منها انه لا زال يتعامل مع المسرح كبيان واقعي « الشكل » ، ومنها انه يعيش حياة اجتماعية خاصة ، لا يزال هو ضمن ملاحظات وبنى ثقافية واعلامية ، يكون شخصيته ، مهمة فرقة المسرح الحر ، وكل الشباب الطليعي الجديد في الجمهورية العربية الليبية ، العاملين في مجال الثقافة، المساهمة في انضاج عموم الوعي وعي التلقي عند المشاهد .. وهذا كما اسلفنا ، ياتي من عروض متقطعة تكون بعيدة عن المشاهد ، ويكون هو بعيدا عنها ، بل يتحتم على الفرقة ان تكون على صلة دائمة مع الجمهور من خلال :

١ – اقامة الندوات والمحاضرات حول مهمة المسرح الجديد وابعاده ضمن عناوين تفصيلية .

٢ – اختراق مجال التلفزيون ، وتقديم نشاطات تمثيلية قصيرة ومسلسلات ضمن الخط الجديد ، لتوطيد الصلة بين الممثل والمشاهد ، وبالتالي بين الفرقة (كاتجاه) والمشاهد (كهدف) .

٣ – اشراك الجمهور في مناقشة المسرحيات بعد عرضها لكشف ودراسة وعي المشاهد، واكتشاف مدى ما اوصلته الفرقة من مضامين وفكرة اساسية للمشاهدين .

٤ – كتابة الموضوعات النظرية عن المسرح وطرح مفهوم المسرح الجديد ، والمسرح السياسي ، من خلال الصحافة وبانتظام .

٥ – الاستفادة من الاذاعة ، والاسهام في تقديم برنامج خاص عن المسرح، وتقديم نماذج من المسرحيات بعد تلخيصها لطليعة ثقافية ونتاج للظروف السياسية ما قبل الثورة وبعدها .

٦ – كتابة تاريخ المسرح الليبي مع تحليله .

٧ – نشر سلسلة من المسرحيات المحلية .

كل هذا وغيره يمكن انجازه ضمن لجنة ثقافية تضع للفرقة خطة عمل وبرنامج تتحرك بموجبه الفرقة عندما تقدم للمشاهدين مسرحيتين فقط في العام الواحد ، فان لديها من الوقت ما تستطيع بموجبه تحريك الجو الثقافي المسرحي بشكل تستطيع فيه من ان تشكل ما اسميناه بالظاهرة الاجتماعية .

ان فرقة المسرح الحر تملك قدرات متفوقة ، لا شك ان المؤسسات الفنية والفكرية كالتلفزيون والاذاعة والصحافة في ليبيا تستطيع الاستفادة منها ، واتاحة الفرصة لها لتفجير طاقاتها لما يخدم طموح الانسان العربي في ليبيا ، وتاكيد القيم الثقافية الصحيحة لازالة كافة الترسبات التنتة التي زرعتها الثقافة الدخيلة للمؤسسات الثقافية الاستعمارية التي وقعت تحت تاثير المكارثية منذ الخمسينات .

مشاهد من مسرحية « نحن الملك »

المخرج محمد العلاقي يدير مشهدا من المسرحية

((نحن الملك))

مسرحية « نحن الملك » للكاتب المغربي (محمد خير الدين) ، واخراج (محمد العلاقي) ، تتحدث عن عزلة نظام ارهابي عن حياة الناس الذين تفتك بهم البطالة والجوع . ملك يحيط به جملة من العسكريين ، والزبانية ، ورجال الدين ، الذين يتوهمون بان العالم كله ، انما يعيش في ذواتهم، وان كل شيء ينتهي بجدران القصر ، حتى اذا ما تازمت الامور خارج هذه الجدران ، تحول كيان القصر وزبانيته الى حركة وحلول باتجاه التصفية والقتل .

ومع ان اداء المسرحية ، وتقمص الشخوص من قبل ممثلي الفرقة كان جيدا على العموم (مع بعض الاستثناءات الصغيرة) ، الا ان ما اثر على قيمة المسرحية هو ضعف توزيع الضوء ، الذي كان يمكن ان يلعب دوره في خلق التركيز والعزل حسب اهمية المشاهد . لقد كانت الانارة بشكل عام فيضية ، مما ادى الى ايجاد ثقل نحو كتل لم يكن مطلوبا التاكيد عليها . (كان هذا في ليلة الافتتاح) في حين كان من الممكن الاستفادة من الانارة في التعويض عن كثير من مستلزمات العمل المسرحي التي تعطي قيمة فكرية وشكلية للمسرحية .

ثمة ملاحظة اخرى ، وهي ان قيمة (السلايدات)، لم تعط اي تاثير يخدم ما كان يرنو اليه مخرج المسرحية ، بل على العكس اربكت العمل سيما وان الشكل التقني الذي استخدمت فيه لم يكن موفقا.. هذا ولقد ضاع المخرج في اسلوبية الديكور ، فلقد تنوع بين ما هو تجريدي وما هو واقعي . لقد كان بامكانه ان ينحو الى تبسيط اكثر ضمن جمالية وبساطة نابعة من بساطة تحريك شخوص المسرحية.

على مستوى تفسير مضامين النص من خلال الاداء بدا لي مشهد العمال في الحانة اقل جودة من غيره من المشاهد ، مع ان هذا المشهد يعتبر من المشاهد الهامة على اعتباره المشهد الوحيد الذي نتعرف من خلاله على الواقع الاجتماعي والاقتصادي. وبه فقط خرجنا من اجواء قصر الملك الى اجواء حياة الناس.

نقول ، كان من الممكن تجسيد هذا المشهد ، بشكل يوضح لنا قيمة ما يدور بين جدران القصر الملكي .

هذه الملاحظات لا تقلل بطبيعة الحال من قيمة المسرحية كعمل فكري ودرامي هام ، جريء، وواضح يعطي للفرقة ثقلا كفرقة طليعية تريد لنفسها ان تكون مجددة رافضة للصيغ التقليدية ولترسبات الفكر البورجوازي .

ان فرقة المسرح الحر في ليبيا توجه طموح ، ونتيجة حتمية للظواهر الشابة الملتزمة بنضال الانسان العربي ومستقبله .